

## أنت تعرفين طفلك أكثر من أي شخص - درس تعلمته بعد تجربة صعبة

لم أخطط لأن أصبح "تلك الأم". الأم التي تواصل الكفاح. الأم التي تشكك في المتخصصين. الأم التي لا تكتفي بجواب: "إنه بخير". لكن عندما يتعلق الأمر بطفلك، تصبحين شخصاً لم تتخيلي نفسك يوماً أن تكونيه - لأنك "مضطرة لذلك".

وُلد ابني في الأسبوع الـ 28. كان صغيراً وضعيفاً، لكنه كان منذ البداية مقاتلاً. قضينا شهوراً في وحدة العناية المركزة لحديثي الولادة، نراقب الشاشات أكثر مما ننظر في عينيه. وعندما أحضرناه أخيراً إلى المنزل، تمسكنا بكل مؤشر نمو صغير كأنه معجزة. ولقد كانت كذلك - معجزاته الخاصة.

لكن كان بداخلي دائماً شعور بأن الأمور ليست كما يجب أن تكون. مع مرور الأشهر، بدأت ألاحظ التأخر - لم يكن يُثرثر مثل باقي الأطفال، لم يكن يجلس بمفرده عندما كان أقرانه يزحفون، وكان تواصله البصري محدوداً. كل إشارة مقلقة كانت تُقابل بجملة واحدة: "إنه رائع بالنسبة لطفل وُلد في الأسبوع الـ 28".

في البداية، قبلت بذلك. بالطبع، سيكون متأخراً بعض الشيء. أقنعت نفسي بأن أتحدى بالصبر، وأتوقف عن المقارنة. لكن بداخلي كان القلق يكبر.

بدأت في تدوين الملاحظات - مقاطع فيديو، صور، جداول زمنية. أحضرتها إلى مواعيدنا المعتادة مع طبيب الأطفال. عبّرت عن قلقي، بتردد في البداية، لكن بصوت أعلى في كل مرة.

تعرّضت للتجاهل أكثر من مرة.

"سيجاري أقرانه".

"الصبيان يتأخرون".

"أنتِ تفكرين كثيراً".

"بعض الأمهات يبحثن عن تشخيص للحصول على دعم مالي".

تلك العبارة الأخيرة أمتني كثيراً.

لم أكن أبحث عن تمويل - كنت أبحث عن "إجابات". عن إرشاد. عن شخص يقول: "نعم، أرى ما تريه". فلنبحث في الأمر أكثر". لكن ذلك لم يحدث. على الأقل ليس في البداية.

في النهاية، وصلت إلى نقطة الانهيار. بدأت أطلب آراء ثانية. قضيت ساعات طويلة أقرأ أبحاثاً عن النمو حتى أرهق بصري. ليس لأنني لم أكن أثق بالأطباء - بل لأنهم لم يبدوا وكأنهم يثقون "بي".

وأخيراً، بعد قرابة عامين من الإصرار ومع أول نوبة صرع لابني، حصلنا على أول تشخيص: تأخر نمائي شامل، شلل دماغي، وصرع. لم يُجب ذلك على كل الأسئلة، لكنه أعطانا إطاراً عاماً. وترافق ذلك مع التدخل المبكر، والعلاجات، والدعم الذي كنت أطلبه منذ البداية.

أتذكر أنني بكيت في أول يوم لدى طبيبة الأطفال الجديدة - ليس بسبب التشخيص، بل لأن أحداً ما أخيراً "رأى" طفلي. لقد "رأتنا" وقالت لي بأني الآن يمكن أن أكون أماً وأهتماً بابني، وبأنها ستتولى الجانب الطبي.

الآن، وبعد سنوات، ها هو ينمو بطريقته الجميلة والفريدة. لا يزال يواجه تحدياته الخاصة، لكنه حقق تقدماً لم يتوقعه أحد. خلال كل ذلك، تعلمت شيئاً واحداً هو الأهم:

"أنت تعرفين طفلك أكثر من أي شخص آخر".

كانت هذه العبارة تبدو لي في الماضي جملة عادية. لكنني الآن أحملها كدرع. لا أحد يقضي وقتاً أطول مع طفلك. لا أحد يرى ما تريه كل يوم. حدسك "حقيقي"، و"صائب".

إذا كنت والداً تقرأ هذا وتشعر وكأنك تصرخ في الفراغ، دعني أكون الصوت الذي يرد عليك: "استمر". ثق بنفسك. لا تخف من السؤال. لا تخف من الإصرار. أنت لست عنيداً - أنت "مثابر".

وللمتخصصين أقول: من فضلكم استمعوا. صدقوا الأمهات والآباء ومقدمي الرعاية الذين يأتون إليكم ليس بدافع الهستيريا، بل الحب. نحن لا نبحث عن تسميات أو عن صدقة. نحن نحاول أن نعطي أطفالنا أفضل فرصة ممكنة للحياة التي يستحقونها.

استغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى أستعيد الثقة في صوتي. أتمنى لو أنني فعلت ذلك في وقت أبكر. لكنني الآن أرفع الصوت - ليس فقط من أجل ابني، بل من أجل كل والد لا يزال يبحث عن شخص يستمع إليه.

وإلى من يقرأ هذا الآن وفي صدره قلق وفي قلبه أسئلة:

أنت لا تتخيل الأمر.

أنت لست وحدك.

أنت تعرف طفلك أكثر من أي شخص.

تمسك بذلك. هذا هو الأهم.

بقلم: كليبر، أم رفضت أن تلزم الصمت